



المصطلح الصوتي عند ابن جني بين دقة الوضع (التأصيل)
والاستعمال-سر صناعة الإعراب أنموذجاً

The Phonetic Term according to Ibn Jinni between the
Placement Accuracy (Rooting) and the Use:
-The Book of the Secret of Making Parsing as a Model-

رزيقة عبادلية¹ صالح طواهري²

مخبر الدراسات اللغوية والأدبية

¹ جامعة 08 ماي 1945 قالمة (الجزائر) abadlia.razika@univ-guelma.dz

² جامعة 08 ماي 1945 قالمة (الجزائر) touahri.salah@univ-guelma.dz

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن بعض المصطلحات الصوتية عند اللغوي ابن جني، (392هـ)، وعند بعض علماء اللغة المحدثين من خلال عرض بعض المصطلحات الصوتية التي جاء بها هذا اللغوي، وذلك لتبيان مدى مساهمة تراثنا العربي القديم في التأسيس للسانيات العربية الحديثة. من طريق عرض بعض المصطلحات الصوتية التي وردت عند ابن جني ومازالت قيد الاستعمال إلى غاية يومنا هذا. وخلصنا في نهاية البحث إلى أن هذا العالم اللغوي له فضل السبق في ميدان علم الأصوات والدليل على ذلك المصطلحات الصوتية التي تناولها ومازالت قيد الاستعمال.

كلمات مفتاحية: مصطلح صوتي؛ علم الصوتيات؛ الظواهر الصوتية التراث؛ خصائص الأصوات.

Summary:

This research aims to uncover some phonetic terms used by the linguist Ibn Jinni (392 AH) as well as by some modern scholars, highlighting specific phonetic terms that he introduced. The goal is to demonstrate the extent to which our ancient Arabic heritage has contributed to the foundation of modern Arabic linguistics. This is achieved by showcasing some phonetic

terms found in Ibn Jinni's work that are still in use today. In conclusion, we found that this linguistic scholar has a pioneering role in the field of phonetics, as evidenced by the phonetic terms he addressed, which continue to be in use.

Keywords: phonetic term; Ibn Jinni; phonetics; acoustic phenomena; Heritage; Characteristics of sounds.

1. مقدمة:

ونحن نبحت في دقة المصطلح الصوتي عند ابن جني لابد أن نشير إلى أن الدراسات الصوتية عند العرب القدامى تتقاطع إلى حد كبير مع علم الأصوات الحديث من جوانب عديدة، مع اختلاف واضح في كيفية وضع بعض المصطلحات وطريقة معالجتها، ولهذا يجب علينا كباحثين أن نثبت جهود العلماء العرب القدامى وسبقهم في هذا الميدان، حيث كان للقدماء من علماء العربية بحوث في الأصوات اللغوية شهد المحدثون أنها قيمة ولا يجب أن نتغاضى عنها. وقد أرادوا بها خدمة اللغة العربية والتطرق العربي الفصيح فوصفوا لنا الصوت العربي وصفًا أثار دهشة المستشرقين وشدّ وإعجابهم. واكتفوا بتكرار كلمات القدامى دون وعي بها أو تمعن فيها؛ فقد أصاب بعض هذه الأصوات تطوّرًا لم ينتهوا إليه. ووقفوا عند الحد الذي وقف عنده القدماء الذين بدورهم لم يستكملوا تلك البحوث القيمة، ويعتبر ابن جني أول من جعل البحث في الأصوات العربية علمًا قائمًا بذاته لا يقل شأنًا عن النحو والصرف والبالغة وغيرها من العلوم اللغوية الأخرى، فما هي جهود هذا الرجل في مجال علم الأصوات بصفة عامة؟ وما أثر ذلك على المصطلح الصوتي بصفة خاصة؟ وإلى أي مدى بقيت تلك المصطلحات الصوتية التي جاء بها قديمًا سارية المفعول في علم الأصوات العربي الحديث؟

1.1 أهمية البحث وأهدافه:

نظرًا لأهمية المصطلح الصوتي الذي بدوره يمثل النقطة الرئيسة التي ينطلق منها علم الأصوات، ارتأينا في هذه الورقة البحثية أن نعقد مقارنة بين بعض المصطلحات الصوتية التي جاء بها اللغوي ابن جني في القرن الرابع الهجري، وما جاء به علماء اللغة المحدثون، ونبيّن إلى أي مدى وردت هذه المصطلحات الصوتية عندهم ومدى دقتها عند ابن جني. ومن بين أهم أهداف هذا البحث هو تبيان جهود اللغوي ابن جني في هذا المستوى من مستويات اللغة العربية.

2.1- المنهجية المعتمدة في البحث:

يعتمد هذا البحث على المنهج الوصفي مع الاعتماد على آلية المقارنة، من خلال استعراض جهود عالم من علماء العربية القدامى ألا وهو اللّغوي "ابن جني" في مجال المصطلح الصوتي، وتحديد أهم المصطلحات الصوتية التي تحدّث عنها في مؤلفاته، ومقارنتها بالمصطلحات الصوتية التي برزت عند علماء الأصوات المحدثين، ورصد مدى ورود هذه المصطلحات عند ابن جني في بعض المؤلفات العربية الحديثة وذلك للإثبات جهوده في هذا الميدان.

تمهيد:

إنّ المصطلحات مفاتيح العلوم كما يقول أحد العلماء، ولم تكن اللّغة العربية أقل حظاً عن باقي اللّغات في صناعة المصطلح، وتعدّ المصطلحات جزءاً لا يتجزأ من معجم اللّغة في شموليته، كما أنّ صناعة المصطلح تخضع للضوابط الصرفية والتركيبية التي يملها النسق العام للّغة. ولقد انعكس هذا التداخل على تحديد مفهوم علم المصطلح بكيفية مثيرة للانتباه، ممّا أدّى إلى حصول تعدّد في تعريفات هذا العلم بتعدّد زوايا المعرفين¹

2- ظاهرة الصوت:

عند صدور أي صوت معناه بالضرورة أنّ هناك جسمًا يهتز، ونعتبر ذلك ظاهرة طبيعية، ويتمّ انتقال ذلك الصوت إلى أذن السامع من طريق وسط ناقل ألا وهو الهواء في غالب الأحيان، «وقد تصل سرعة الصوت في بعض الأحيان إلى 332 مترًا في الثانية، ويقاس الصوت حسب معايير معينة وثابتة انطلاقًا من: شدّته وقيّمته ودرجته»². ويعتبر المستوى الصوتي هو الأساس الذي ينطلق منه التحليل اللّساني، واللّبنة الرئيسية التي تشكّل لنا التركيب على مستوى الكلمة، وبعدها الجملة امتدادًا إلى السياق، ويتشكّل لنا التركيب المنسجم انطلاقًا من الترابط والتعاليق بين جميع هذه المستويات، بداية بالمستوى الصوتي ثم الصرفي ثم التركيبي فالدلالي فالمعجمي.

3- الدرس الصوتي عند ابن جني:

كانت الأصوات محل انشغال اللّغويين منذ القدم، حيث ظهر هذا النوع من الدّراسات في بادئ الأمر عند اليونان والرومان والهنود، لكنّها كانت لا تقوم على أساس علمي دقيق لاعتمادها فقط على الملاحظة الشخصية، الأمر الذي جعلها لا تصل إلى نتائج علمية دقيقة

كالتى توصّل إليها علماء الأصوات المحدثون، لكن علماء اللّغة العربيّة القدامى لم يكونوا بمنأى عن الدّرس الصّوتي، حيث نجد هذا الأخير جلب انتباه بعض العلماء، فأخذوا في البحث عن خباياه من إتقان النّطق باللّغة العربيّة.³ وفي القرن الرابع الهجري ألف النحوي ابن جني كتابه في علم الأصوات (سر صناعة الإعراب) وقد شرح في بداية هذا الكتاب كيفيّة حدوث الصّوت، حيث شبّه مجرى النفس عند النّطق بالصّوت بالمزمار الذي توضع عليه الأصابع، وشبّه حدوث الصّوت بوتر العود وأثر الأصابع عليه.⁴ «ويعتبر ما جاء به ابن جني من خلال المقارنة بين علمين متقاربين؛ وهما علم الأصوات وعلم الموسيقى، نجده قد ربط بين علمين يكملان بعضهما البعض، وهما علم التجويد وعلم الأصوات».⁵

وسوف نقتصر فيما يلي على سرد بعض مصطلحات علم الأصوات عند ابن جني والعلماء المحدثين لنبيّن مدى ما توصّل إليه البحث الصّوتي القديم من دقّة في وضع المصطلحات ومدى فعاليتها في الدّرس الصّوتي الحديث.

4 مصطلح الصّوت والحرف:

ذكر ابن جني مصطلح الصّوت والحرف حيث قال: «وأما الحرف فالقول فيه وفيما كان من لفظه: أن «ح ر ف» أينما وقعت في الكلام يراد بها حدّ الشّيء وحدّته من ذلك حرف الشّيء، إنّما هو حدّه وناحيته»⁶ ويقول أيضاً: «فإن اتّسع مخرج الحرف حتّى لا يقطع الصّوت عن امتداده واستطالته».⁷ وهذا دليل واضح على وعيه العميق في وضع مصطلح الحرف والصّوت، فهو يعني بذلك بصورة مباشرة أنّ الحرف يعدّ الصورة الكتابيّة للصّوت، وأنّ الصّوت هو ذلك التّمثيل الفعلي للصّوت؛ أي الجانب النّطقي للحرف. ونجد نفس المصطلح ورد عند المحدثين من علماء اللّغة الذين يفرّقون بين الحرف والصّوت، «فالحرف عندهم هو الرّمز أو المكتوب بينما الصّوت يعني عندهم المنطوق».⁸

ومن هنا نجد أنّ مصطلحي الصّوت والحرف قد وردا عند كليهما بنفس المصطلح ونفس المفهوم؛ حيث يعدّ الحرف هو الصورة الكتابيّة للصّوت، غير أنّه من المفيد الإشارة إلى ضرورة التّفريق بينهما بالنّظر لخصائص كليهما. ومنه يتّضح لنا أنّ الفرق بين ابن جني والمحدثين في طريقة الطرح فقط، لكن المعنى يبقى واحد، فهو يريد أن يوضّح بأنّ الحرف هو الصورة الكتابيّة للصّوت كما أقرّه العلماء المحدثين.

5 الحركات عند القدماء والمحدثين: Vowels

الحركات في اصطلاح العلماء: «أصوات مجهورة، تحدث عند اندفاع الهواء في مجرى مستمر لا يعترضه عارض عند أي مخرج كان من مخارج جهاز النطق المعروفة، يؤدي حدوث هذه الحركات إلى صدور احتكاك قد يكون له أثر على أذن السامع».⁹

يقول ابن جني في كتابه سر صناعة الإعراب: «اعلم أن الحركات أبعاد حروف المدّ واللين، وهي الألف والياء والواو، فكما أن هذه الحروف ثلاثة، فكذلك الحركات ثلاث وهي الفتحة، والكسرة والضمة، فالفتحة بعض الألف، والكسرة بعض الياء، والضمة بعض الواو...»¹⁰ نفس التقسيم أخذت به الدراسات الصوتية المعاصرة، حيث قسّمت الحركات إلى قسمين: «طويلة وقصيرة، فالحركات الطويلة في اللغة العربية هي الألف والواو والياء، والحركات القصيرة كذلك ثلاث وهي: الفتحة والضمة والكسرة».¹¹ لكن عند العلماء المحدثين نجد "دانييل جونز" يعرف الحركة بأنها: «صوت مجهور يخرج مع الهواء الصادر من الرئتين، انطلاقاً إلى البلعوم ثم إلى الفم، دون أن يعترضه عارض، أو عضو من الأعضاء الصوتية، يمنع خروجه أو يجعل منع احتكاكاً يمكننا سماعه».¹² نفس التقسيم ذهب إليه اللغوي كمال بشر حيث يقول: «أشرنا في البدء إلى مفهوم الحركة بعامة وانتهينا من ذلك إلى أن الحركات بالعربية الفصحى ثلاث حركات قصار، وثلاثاً طوالاً هي المعروفة عندهم بحروف المد: الألف والواو والياء».¹³ وقد اهتمّ المحدثون من علماء الأصوات اللغوية بالبحث في أصوات اللين وضبطها، بصرف النظر عما تنتمي إليه من لغة خاصّة. لأنهم لاحظوا أنها تختلف من لغة إلى أخرى اختلافاً يجعل محاولة النطق بلغة أجنبية عسيراً يحتاج إلى مران.

مما سبق يتّضح لنا بأنّ الحركات هي أصوات مجهورة تحدث عند مرور الهواء دفعة واحدة في مجرى مستمر، دون أن يعترضها عارض عند أي مخرج من المخارج، ويحدث ذلك عند اندفاع الهواء دفعةً واحدة، لكن لا ننسى بأنّه قد يحدث احتكاك طفيف يمكننا سماعه، ومن خلال تعريف ابن جني السابق لمصطلح الحركة نجد أنها وردت عند كليهما بنفس التسمية، وكذلك مصطلحي المد واللين، الاختلاف فقط يكمن في كيفية ضبط المفاهيم عند كليهما، لكن المعنى الأساسي يبقى واحد.

6 صفات الأصوات:

ذكر ابن جني من المصطلحات الخاصة بصفات الأصوات نذكر منها: «المهموس، المجهور، الشديد، الرخو، المطبق، المنفتح، المستعلي، المنخفض، المنحرف، المكرر، والليّنة، والهاوي، والمطبق، والمنفتح».¹⁴ وصفات الأصوات هي الكيفية التي تتحدّد بها خصائص كل صوت، وتبيّن وضعيات معينة للأعضاء المتدخّلة في عملية النطق.

7 بعض المصطلحات الثنائية:

1.7 مصطلح الجهر والهمس: Voiced and Voiceless Sound

تنقسم الأصوات إلى مجهور ومهموس، «فالأصوات التي تتذبذب معها الأوتار الصوتية نتيجة لاهتزاز الأوتار، تصنّف ضمن الأصوات المهموسة، والأصوات التي لا تتذبذب معها الأوتار الصوتية تصنّف ضمن الأصوات المجهورة».¹⁵ يقول ابن جني: «اعلم أنّ الهمزة حرف مجهور، وهو في الكلام على ثلاثة أضرب».¹⁶

وأما المهموس: «فحرف أضعف الاعتماد من موضعه، حتى جرى معه النّفس».¹⁷ ونظراً لعدم توفر الإمكانيات المادية الحديثة لمعرفة الأوتار الصوتية عند الإنسان في ذلك الزمان، وجهلهم بالوظيفة الدقيقة التي تؤديها عند النطق بالأصوات والصفات التي تكتسبها، فإنّ تعريفهم للجهر والهمس جاء مخالفاً للعلماء المحدثين، حيث نجدهم عرفوا الجهر بقوة الاعتماد، والهمس عكس ذلك أي ضعف الاعتماد أو الضّغط على الصّوت.¹⁸

ومن هنا نجد أنّ صفتي الجهر والهمس قد وردتا عند ابن جني والصّوت المهموس عنده هو الذي لا يهتزّ معه الوتران الصوتيان، ونجده ورد عند العلماء المحدثين بنفس المصطلح، يقول إبراهيم أنيس: «إذا التقى صوت مهموس بصوت مجهور، قلب أحدهما إلى نظير الآخر، بحيث يتكوّن منهما صوتان مهموسان أو مجهوران».¹⁹ وانقباض فتحة المزمار وانبساطها عملية يقوم بها الإنسان أثناء كلامه، دون أن يحسّ بها في غالب الأحيان. وعندما تنقبض فتحة المزمار يقترب الوتران الصوتيان إلى بعضهما البعض بحيث يصبح هناك تضيق في فتحة المزمار، ولكّتها تبقى تسمح بمرور النّفس خلالها، والصّوت المجهور هو الصّوت الذي يهتزّ معه الوتران الصوتيان، ...وعكس الجهر هو الهمس. وهو: «الصّوت الذي لا يسمع له أثر عند النّطق به».²⁰ وقد أطلق المحدثون اسماً آخر للصّوت المجهور ألا وهو «الاهتزازي» أو «المهتزّ» وذلك بسبب الدّراسة الصّوتية الفسيولوجية الحديثة التي وضّحت أنّ: «هواء التّنفس عندما

يدخل حنجرة الإنسان، يتحوّل إلى هواء مهتزّ، ولم يعد فيه نفسُ بالمرّة، لأنّه تحوّل تحوُّلاً كاملاً إلى اهتزاز». ²¹

من كل ما تقدّم يتبين لنا أنّ مصطلحي الجهر والهمس تحدّث عنهما ابن جني وحافظ عليهما اللّغويون المحدثون بالرّغم من أنّ ابن جني كان يجهل دور الوترين الصّوتين في عمليّة التّصويت حتى جاء الرئيس ابن سينا وقام بعملية تشريح الجهاز الصّوتي وهنا أدرك اللّغويون آنذاك بأنّ وضع الوترين الصوتيين هو الذي يحدّد صفات الأصوات، وأضاف كذلك المحدثون مصطلحاً آخر على الصّوت المجهور وهو الاهتزازي أو المهتزّ، لأنّ الصّوت المجهور عندهم، هو الصّوت الذي يهتزّ معه الوتران الصوتيان عند النّطق بالصّوت المجهور ، والصّوت المهموس هو الصّوت الذي لا يهتزّ معه الوتران الصوتيان، فالصّوت المجهور عند ابن جني يقابل الاهتزازي عند المحدثين.

2.7 الشدّة والرخاوة: (Plosive - Friction)

هناك تقسيم آخر حسب التّحكم في مجرى الصّوت وهو كما ذكر ابن جني الذي جعل الحروف العربيّة ثلاثة أقسام: شديدة ورخوة وما بينهما حيث قال: «هناك تقسيم آخر للحروف شديدة ورخوة وما بينهما، «فالشّديدة ثمانية أحرف. والحروف الّتي بين الشّديدة والرخوة ثمانية أيضاً». ²² ومعنى: «أنّه الحرف الّذي يمنع الصّوت من أن يجري فيه ، ألا ترى أنّك لو قلت : الحقّ ، والشطّ ، ثم رمت مدّ في القاف والطاء ، لكان ذلك ممتمنعاً». ²³ أمّا المحدثون فقد استبدلوا مصطلح الشدّة بمصطلح آخر في كتب المحدثين وهو مصطلح (الانفجارية) و هي ترجمة للمصطلح الأجنبي (Plosive) ، وهناك ألفاظ أخرى استعملت للدلالة على المصطلح نفسه منها لفظ (الوقفيّة) ، و (الاحتباسيّة) و (الانسداديّة) ²⁴ وبيّنت البحوث الحديثة أنّ الأصوات الانفجارية أو الشّديدة بالمصطلح القديم هي: الباء والتاء والذال والطاء والضاد والكاف والقاف والجيم القاهريّة (الكاف الفارسيّة). عددها ثمانية أحرف . أسقطوا الهمزة، وأضافوا الضاد باعتبار نطقها في بعض اللّهجات العربيّة الحديثة لا كما وصفها سيبويه.

الرخاوة (Friction) يقول ابن جني: «وأذكر أحوال هذه الحروف في مخارجها ومدارجها وانقسام أصنافها، وأحكام مجهورها ومهموسها، وشديدها ورخوها». ²⁵ وقد اصطلح العلماء المحدثين على تسمية الأصوات الرخوة -وهو مصطلح قديم - بالأصوات الاحتكاكيّة. وهي:

«الأصوات التي لا ينجس معها الهواء عند النطق بها انحباساً محكماً، بل يضيق مجراه عند المخرج فيحدث ما يشبه الصفير أو الحفيف».²⁶ أمّا الأصوات الرخوة فعند النطق بها لا ينجس الهواء انحباساً محكماً، وإنما يكتفي بأن يكون مجراه عند المخرج ضيقاً جذاً ويترتب على المجرى أنّ النفس أثناء مروره بمخرج الصوت يحدث نوعاً من الصفير أو الحفيف مختلف نسبته تبعاً لنسبة ضيق المجرى.²⁷ حين تلتقي الشفتان التقاءً محكماً فينجس عندهما مجرى النفس المندفع من الرئتين لحظةً من الزمن بعدها تنفصل الشفتان انفصالاً فجائياً، يحدث النفس المنجس صوتاً انفجارياً، هو ما نرسم إليه في الكتابة بحرف الباء؛ فهذا النوع من الأصوات الانفجارية هو ما اصطلح عليه القدماء بالصوت الشديد وما يسميه المحدثون انفجارياً. "Plosive" والأصوات العربية الشديدة كما تؤدّيها التجارب الحديثة هي: ب ت د ط ض ك ق «والجيم القاهرية». أما الجيم العربية الفصيحة فيختلط صوتها الانفجاري بنوع من الحفيف يقلل من شدتها، أمّا الأصوات الرخوة فعند النطق بها لا ينجس الهواء انحباساً محكماً، وإنما يكتفي بأن يكون مجراه ضيقاً.²⁸ ويشيع كثيراً في اللغات أن توجد أماكن للنطق الاحتكاكي أكثر من أماكن النطق الوقفي... وتملك العربية ستة أماكن احتكاكية لنطق الخاء والحاء والهاء والشين والسين والفاء في مقابل خمسة وقفية.²⁹ وهي الهاء والعين والحاء والغين والحاء والشين والصاد والسين والزاي والطاء والذال والثاء والفاء وقد سماها العرب الأصوات «الرخوة»، وضمّ إليها الضاد وأخرجوا منها العين.³⁰

ما ذكر آنفاً يفسّر لنا أنّه بالرغم من الاختلاف في مصطلح شديد عند ابن جني واستبداله بمصطلح انفجاري عند العلماء المحدثين، وهناك أيضاً ألفاظ أخرى استعملت للدلالة على المصطلح نفسه من قبل بعض العلماء المحدثين: منها الوقفية والاحتباسية، إلّا أنّ هناك تقارباً في المفهوم بين المصطلحين على حد سواء. أمّا مصطلح الرخوة فقط اصطلاحاً عليها العلماء المحدثون بالأصوات الاحتكاكية.

3.7 الإطباق والانفتاح:

وتنقسم الحروف إلى مطبقة ومنفتحة فالمطبقة هي: الضاد، والطاء، والصاد، والظاء، وما تبقى من الحروف فهي من منفتحة.

يقول ابن جني: «والإطباق: أن ترفع ظهر لسانك إلى الحنك الأعلى، مُطْبِقاً له، ولولا الإطباق لصارت الطاء دالاً. والصاد سيناً، والظاء ذالاً، ولخرجت الضاد عن الكلام، لأنه ليس من موضعها شيء غيرها فتزول الضاد إذا عَدِمَت الإطباق إليه».³¹ ولم يخالف المحدثون

القدماء فيما ذهبوا إليه من وصف للإطباق والانفتاح ، فقد كان وصفهم بالنظر إلى ارتفاع مؤخر اللسان عند ارتفاعه نحو أقصى الحنك في شكل مقعر ، أو انخفاضه عند النطق بالصوت ، «أطلقوا "المطبق" أو "المفخم" على الأصوات التي يرتفع مؤخر اللسان فيها باتجاه الطبق ، كما أطلقوا "المرقق" أو "غير المرقق" على الأصوات التي يرتفع فيها مؤخر اللسان ، وهي الأصوات المنفتحة».³² وكذلك في الدراسات الحديثة ميّز الدارسون بين مصطلحين ، أحدهما ، الأصوات الطبقيّة وتحدث : «بارتفاع مؤخر اللسان حتى يتصل بالطبق فيسدّ المجرى أو يضيّقه تضييقاً يؤدّي إلى احتكاك الهواء بهما في نقطة التقاءها ، فتكون كل من الخاء والغين والقاف من الأصوات الطبقيّة».³³ والإطباق عند المحدثين صفة من صفات الصاد والضاد والطاء والظاء والراء واللام والقاف ، ويعنون به اتخاذ اللسان شكلاً مقعراً عند النطق بهذه الأصوات.³⁴

ورد مصطلح الإطباق عند ابن جني وهو نفسه عند العلماء المحدثين، الفرق بينهما فقط يكمن في: أنّ الإطباق عند ابن جني يكون برفع اللسان نحو الحنك الأعلى مطبقاً له، والحروف المطبقة عنده هي: الطاء، الصاد، الظاء، الضاد. أمّا الإطباق عند العلماء المحدثين هو أن يرتفع مؤخر اللسان عند ارتفاعه نحو أقصى الحنك في شكل مقعر، أو انخفاضه عند النطق بالصوت. وحروف الإطباق عندهم هي: الصاد والضاد والطاء والظاء والراء واللام والقاف. وأضافوا كذلك مصطلح الطبقيّة وتتكوّن من أصوات: الخاء والغين والقاف.

4.7 الاستعلاء والاستفال:

وردت عند ابن جني هذه المصطلحات حيث يقول: «فالمستعلية سبعة، وهي: الخاء، والغين، والقاف، والضاد، والطاء، والصاد، والظاء، وما عدا هذه الحروف فمخفض. ومعنى الاستعلاء أن تتصعد في الحنك الأعلى، فأربعة منها فيها مع استعلائها».³⁵ وهذا تقسيم آخر عرفه البحث الصوتي عند العرب لما وصفوا الأصوات العربيّة وتفردوا بها، وأقرّه المحدثون منهم، وكان هدفهم تقسيمها من حيث ارتفاع مؤخرة اللسان وسمّيت عندهم بالمستعلية وتشمل أصوات: الخاء والغين والقاف والضاد والطاء والصاد والظاء وما عداها تدعي بالمستفلة والمنخفضة.³⁶

5.7 حروف الذلاقة والإصمات:

يبدو أن ابن جني حين لاحظ كثرة شيوع هذه الأصوات في اللغة العربية التي لا تكاد تخلو منها كلمة رباعية أو خماسية في أصولها، حيث وضع لها هذه التسمية، واعتبر غيرها من الحروف مصمتة «لأنه صمت عنها»-كما يقول-«أن تبني منها كلمة رباعية أو خماسية معرارة من حروف الذلاقة...ويبدو أن كلمة «الذلاقة» هنا لا تعني أكثر من معناها الشائع المؤلف وهو القدرة على الانطلاق في الكلام بالعربية دون تعثر أو تلعثم».³⁷ وهذا تقسيم تفرد به العلماء العرب ولا يعرفه المحدثون ، أما الذلاقة في الأصوات فاسم يندرج تحته نوعان من الأصوات: «الأول شفوي مخرجه الشفة لأصوات : الفاء والميم والباء. والآخر ذلقي (وذلق اللسان طرفه المستدق) ويشمل أصوات الرء والنون واللام».³⁸

8 بعض المصطلحات الأحادية:

1.8 موسيقى الكلام (التنغيم): Intonation

بيّنت التجارب التي أجريت حديثاً، أن الإنسان عندما يتكلم بلغته أنه: «لا يتبع درجة صوتية ثابتة في نطق الأصوات، وأن الأصوات التي يتكوّن منها المقطع الواحد، لا يتبع الإنسان درجة واحدة عند النطق بهذه المقاطع، والأمر كذلك على مستوى الكلمة والجمله. وهناك لغات نلاحظ فيها اختلاف درجة الصوت لا تكتسي دوراً مهماً، حيث تختلف معاني الكلمات».³⁹ ويقوم التنغيم في بعض اللغات بدور صرفي مهم، حيث نجد: «في بعض اللغات صيغتين متشابهتين من الناحية الصوتية، ولكن كليهما تنطق بنغمة مخالفة للأخرى فهذا هو التنغيم أو موسيقى الكلام».⁴⁰

يطلق عليه ابن جني بمطل الحركات حيث يقول: «وإذا فعلت العرب ذلك أنشأت عن الحركة الحرف من جنسها. فتنشئ بعد الفتحة الألف، وبعد الكسرة الياء، وبعد الضمة الواو. فالألف المنشأة عن إشباع الفتحة ما أنشدناه أبو علي لابن هرمة يرثي ابنه: من قوله:

فأنت من الغوائل حين تُرَمَى ومن ذم الرجال بمنزح.

أراد بمنزح: مفتعل من النازح.⁴¹

مما سبق نجد أن الإنسان عندما يتكلم لا يتبع درجة صوتية واحدة؛ أي أن هناك تنغيماً على مستوى الكلمة وهناك تنغيم على مستوى الجملة، لكن بالرغم من اختلاف ابن جني باستعماله مصطلح مطل الحركات، واستعمال العلماء المحدثين لمصطلح موسيقى

الكلام مثل إبراهيم أنيس، ومصطلح التنغيم عند محمود السعمران إلا أنّ المفهوم واحد عند كل واحد منهم، وهذا دليل قاطع على حدس ابن جني المتطوّر في ذلك الوقت.

2.8 الإمالة: Breaking

الإمالة هي: «أن تتحوّل بالفتحة جهة الكسرة، أو تميل بالألف جهة الياء، ويتّضح لنا ذلك جليّاً من خلال الأمثلة التي ضربها لنا اللّغويون، أنّ الإمالة تعني عندهم هو تحوّل الفتحة القصيرة إلى كسرة قصيرة، والفتحة الطويلة إلى كسرة طويلة».⁴² ولم يقتصر الانسجام الصوتي عند العرب على المماثلة بين الصوامت فقط بل تعدّاهما إلى الصوائت أيضاً، وقد عبّر اللّغويون القدامى عن التماثل الصوتي بين الصوائت بمصطلحات عديدة أشهرها الإمالة.⁴³ وذكر كذلك ابن جني مصطلح الإمالة حيث قال: «بأنّ الألف المُمالة هي التي تجدها بين الألف والياء».⁴⁴ وجاء أيضاً: «الإمالة أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، فتميل الألف التي بعدها نحو الياء، وذلك بسبب تجانس في الصّوت ويرى أيضاً أنّ الحركة ليست فتحة خالصة، وكذلك أنّ الألف التي بعدها ليست ألفاً حقيقية، لأنّ هذه الألف تابعة للفتحة».⁴⁵ ومن هنا يتبيّن لنا أنّ مصطلح الإمالة ورد عند كليهما بنفس المصطلح ونفس المفهوم وهذا يؤكد على أن ابن جني كان من بين رواد علم الأصوات الذين أسّسوا له، واعتمد على هذا الموروث العلماء الذين جاؤوا من بعده.

3.8 التكرار: Rolled

التكرار صفة تتعلّق بصوت الرّاء، وعند النّطق بهذا الصّوت نلاحظ ارتعاش اللّسان، ومعنى التكرار هو: «الضربات المتتالية التي تصحب اللّسان عند النّطق بهذا الصّوت، حيث أطلق عليه العلماء المحدثون باللّغة الإنجليزية مصطلح Rolled».⁴⁶ وهذه الميزة يتفرد بها صوت الرّاء حيث نلاحظ هزّات وارتدادات في طرف اللّسان عند النّطق بهذا الصّوت.⁴⁷ كما عرّف ابن جني هذا المصطلح، بقوله: «ومنها المكرّر، وهو الرّاء، حيث أنّك إذا وقفت على النّطق به لاحظت طرف اللّسان يرتعش، ونتيجة لذلك احتسب عند الإمالة بحرفين».⁴⁸

كما ذكر إبراهيم أنيس مصطلح التكرار بقوله: «والرّاء صوت مكرّر، لأنّ التقاء اللّسان عند النّطق بهذا الصّوت بحافة الحنك ومما يلي الثنايا العليا تكرّر، والرّاء كاللّام من الأصوات المتوسّطة بين الشّديدة والرّخوة».⁴⁹ ويقول أيضاً: «ومما يظهر لنا في لغتهم أنّهم يميلون إلى تكرار المقاطع المتماثلة، الأمر الذي جعل لغتهم تتكوّن من الكثير من الكلمات والعبارات

المكررة المقاطع».⁵⁰ ولقد جاء كذلك أحمد مختار عمر بمصطلح التكرار حيث قال: «اللام والراء مخرجهما واحد، وكلاهما يحمل صفة الجهر. ولكن الراء تتميز عن اللام بأنها صوت تكراري، يضرب اللسان عند النطق به ضربات متتالية في اللثة، الأمر الذي يجعل صوت الراء صوتاً مركباً مقارنة بصوت اللام».⁵¹

ومن هنا يتبين لنا أنّ مصطلح التكرار وهو خاصية حرف الراء، ورد مفهومه عند ابن جني والمحدثين بنفس المعنى ونفس المصطلح، وهو تكرار صوت الراء وارتعاش اللسان عند النطق به.

4.8 المقطع: Syllable

يقول ابن جني: «اعلم أنّ الصوت عرض يخرج مع النفس مستطياً متصلاً، حتى يعرض له في الحلق والفم والشففتين مقاطع تثنيه عن امتداده واستطالته فيسمى المقطع أينما عرض له حرفاً، وتختلف أجراس الحروف بحسب اختلاف مقاطعها».⁵² ونجد نفس المصطلح ورد عند المحدثين حيث نجدهم يرون بأنّ المقطع هو عبارة عن مجموعة من الأصوات التي تمثل قاعدتين تحصران بينهما قمة، ويمكن كما سبق تغيير الكلام إلى مقاطع بمجرد السماع. ولكن ليس من الممكن على وجه التحديد تعيين النقطة التي ينتهي عندها مقطع لبدء بعدها المقطع الذي يليه؛ وذلك لأن الكلام الإنساني متداخل الأجزاء بحيث يكتسب الجزء القوي شيئاً من ضعف الجزء الضعيف الذي يليه أو الذي يسبقه.⁵³ ويقول إبراهيم أنيس أيضاً في هذا الصدد: «يحتاج الباحث إلى تقسيم الكلام المتصل إلى مقاطع صوتية، علمها تبني في بعض الأحيان الأوزان الشعرية، وبها يعرف نسيج الكلمة في لغة من اللغات. والمقاطع الصوتية نوعان متحرك «Open» وساكن «Closed» والمقطع المتحرك هو الذي ينتهي بصوت لين قصير أو طويل، أمّا المقطع الساكن فهو الذي ينتهي بصوت ساكن»⁵⁴ عندما ننطق عبارة مثل قوله تعالى: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ» آل عمران - الآية 110- نحسّ أنّ هناك سكتات قصيرة تحدث بين كل مجموعة صوتية والتي تليها.⁵⁵

ومن هنا نجد أنّ المقطع يتأتى عند حدوث سكتات نحسّ بها عند النطق بالكلمة، حيث نجده ورد عند كليهما بنفس المصطلح، لكن عند ابن جني يقصد بمصطلح المقطع المخرج، أمّا العلماء المحدثون يقصدون بمصطلح المقطع هو اجتماع صوتين أو متحرك وساكن؛ أي الوحدة الصوتية Phoneme.

9 خاتمة:

كشفت هذه الورقة البحثية عما يلي:

● أنّ مصطلح الحركة وردت عند ابن جني بنفس المصطلح الذي تحدث عنه العلماء المحدثين.

● أطلق العلماء المحدثون مصطلح الاهتزازي على الصوت المجهور.

● قسّم ابن جني الحروف إلى شديدة ورخوة وما بينهما، بينما استبدل المحدثون مصطلح الأصوات الشديدة بالانفجارية أو الوقفية أو الاحتباسية أو الانسدادية، والأصوات الشديدة عندهم هي: ب، ت، ط، ض، ك، ق، والجيم القاهريّة.

● اصطلح ابن جني على الأصوات الاحتكاكية بمصطلح الأصوات الرخوة، ونجد هنا نوعاً من التقارب في مفهوم المصطلحين، والأصوات الرخوة عند النطق بها لا ينجس معها الهواء انحباساً محكماً، ويكون مجراها ضيقاً.

● قابل العلماء المحدثون مصطلح الإطباق الذي ورد عند ابن جني بالمطبقة، ويعنون بها اتّخاذ اللسان شكلاً مقعراً عند النطق بهذه الأصوات.

● ورد مصطلح الاستعلاء عند ابن جني وأقرّه المحدثون.

● مصطلح الذلاقة وضعه ابن جني وغفل عنه العلماء المحدثين، والذلاقة هي القدرة على الانطلاق في الكلام بيسر دون تكلف وبذل أقل جهد ممكن من طرف أعضاء النطق أثناء الكلام.

● موسيقى الكلام (التنغيم) يقابله عند ابن جني مصطلح مطل الحركات.

● مصطلح الإمالة تحدّث عنه ابن جني بنفس المصطلح الذي ورد عند المحدثين.

● صفة التكرار هي الميزة التي يتفرد بها صوت الرّاء، وردت نفسها عند كليهما بنفس المصطلح.

● كذلك مصطلح المقطع يتأتى عند حدوث سكتات أو وقفات عند النطق بالكلمة، يقابل ابن جني مصطلح المقطع بالمخرج. واصطلح عليه العلماء المحدثين بمصطلحي المقطع وكذلك: "الوحدة الصوتية Phoneme".

● من بين المقترحات التي أقدمها كباحثة، هي ضرورة الاهتمام بالتراث العربي القديم والعودة إليه في بعض القضايا والمسائل التي تخص علوم اللغة بصفة عامة،

● مواصلة الجهود التي بذلها هؤلاء العلماء، لكيلا نبقى فقط في البكاء على الأطلال ونعمل على مواكبة ما استجد من تطورات في العلوم اللغوية الحديثة لأن هذه العلوم حيّة تحتاج إلى تجديد من حين إلى آخر، خاصّة مع التطوّرات التكنولوجية الحديثة للالتحاق بالأمم المتطوّرة، كما صنع ابن جني وأمثاله من قبل، ولا نبقى فقط نتكلم عن التراث القديم، لكي نعيد للعرب مكانتهم بين الأمم على مر التاريخ.

مراجع البحث وإحالاته:

- 1 ينظر: أعضاء شبكة تعريب العلوم الصحيّة، المكتب الإقليمي لشرق المتوسط ومعهد الدراسات المصطلحية، فاس، المملكة المغربية، علم المصطلح لطلبة العلوم الصحية والطبيّة، دن، 2005، دط، ص5.
- 2 ينظر: رمضان عبد الله، أصوات اللّغة العربيّة بين الفصحى واللهجات، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندريّة، 2006، ط1، ص9.
- 3 ينظر: رمضان عبد الله، أصوات اللّغة العربيّة بين الفصحى واللهجات، مرجع سابق، ص20.
- 4 ينظر: المرجع نفسه، ص22.
- 5 ينظر: أبي الفتح عثمان ابن جني، سرُّ صناعة الإعراب، ج1، دار الكتب العلميّة، بيروت-لبنان-ط1، 2000م ص9.
- 6 ينظر: المصدر نفسه، صص13-14.
- 7 ينظر: المصدر نفسه، ص7.
- 8 ينظر: سلمان بن سلمان بن رجاء السحبي، إبدال الحروف في اللهجات العربيّة، مكتبة الغرباء الأثرية، المدينة المنورة، ط1، 1995 م، ص96.
- 9 ينظر: حازم علي كمال الدين، دراسة في علم الأصوات، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 1999م. ص52.
- 10 ينظر: خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، دار الجاحظ للنشر، بغداد(العراق) ط1، 1983، ص17.
- 11 ينظر: علي زوين، منهج البحث اللّغوي بين التراث وعلم اللّغة الحديث، دار الشؤون الثقافيّة العامّة، بغداد، ط1 1986، ص64.
- 12 ينظر: عبد الرحمان أيوب، أصوات اللّغة، مطبعة الكيلاني، القاهرة (مصر)، ط2، 1968، صص156-157.
- 13 ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، 2000، دط، ص17.

- 14 ينظر: علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، مرجع سابق، ص 65.
- 15 ينظر: رمضان عبد الله، أصوات اللغة العربية بين الفصحى واللهجات، مرجع سابق، ص 47.
- 16 ينظر: أبو الفتح عثمان ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ج 1، مصدر سابق، ص 83.
- 17 ينظر: أبو الفتح عثمان ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ج 1، مصدر سابق، ص 75.
- 18 ينظر: ونيسة بوختالة، البنية الصوتية لقصار الصور القرآنية وأثرها في تعليم اللغة العربية - المرحلة الابتدائية أنموذجاً، رسالة ماجستير في اللغة العربية، كلية الآداب واللغات - الجزائر- 2007، ص 44.
- 19 ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر ومطبعها بمصر مصر، دن، دت، ص 112.
- 20 المرجع نفسه، ص ص 21-22.
- 21 الدين عاصم مصطفىتش، الحروف العربية بين القدماء والمحدثين، رسالة ماجستير في اللغة العربية، كلية اللغة العربية بالقاهرة، جامعة الأزهر، مصر، 2011، ص 59.
- 22 ينظر: سلمان بن سلمان بن رجاء السحيمي، إبدال الحروف في اللهجات العربية، مرجع سابق، ص 108.
- 23 ينظر: أبي الفتح عثمان ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ج 1، مصدر سابق، ص 75.
- 24 ينظر: عبد العزيز الصبيغ، المصطلح الصوتي في الدراسات العربية، دار الفكر المعاصر، دمشق سوريا، 2000، ص 119.
- 25 ينظر: ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ج 1، مصدر سابق، ص ص 16-17.
- 26 ينظر: علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، مرجع سابق، ص 67.
- 27 ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص 24.
- 28 ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص 25.
- 29 ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، ط 1، 1997م، ص 142.
- 30 ينظر: كمال بشر، علم الأصوات، دار غريب، القاهرة، ط 1، دت، ص 213.
- 31 ينظر: أبو الفتح عثمان ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ج 1، مصدر سابق، ص 76.
- 32 ينظر: فاطمة دوحا، مستويات الدرس اللساني عند ابن جني، رسالة دكتوراه، المركز الجامعي - أحمد صالح - النعامة، الجزائر، 2019، ص 69.
- 33 ينظر: علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث، مرجع سابق، ص ص 71-72.
- 34 ينظر: خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، مرجع سابق، ص 55.
- 35 ينظر: أبو الفتح عثمان ابن جني، سرّ صناعة الإعراب، ج 1، مرجع سابق، ص 75.
- 36 ينظر: خليل إبراهيم العطية، مرجع سابق، ص 57.
- 41 إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص 109.

- 38 خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، مرجع سابق، ص 57.
- 39 ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص 103.
- 40 ينظر: محمود السعران، علم اللغة مقدّمة للقارئ العربي، دار الفكر العربي، الإسكندرية، ط 2، 1997، ص 225.
- 41 ينظر: أبو الفتح عثمان ابن جني، الخصائص، ج 3، تح محمد علي النجار، المكتبة التوفيقية، مصر، 2015، ط 1، ص 131.
- 42 ينظر: حازم علي كمال الدين، دراسة في علم الأصوات، مكتبة الآداب، القاهرة، ط 1، 1999 م، ص 170.
- 44 حامد بن أحمد بن سعد الشنبري، النظام الصوتي للغة العربية - دراسة وصفية تطبيقية - القاهرة، د ط، 2004 م، ص 145.
- 44 أبو الفتح عثمان ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1، مصدر سابق ص 64.
- 45 المصدر نفسه، ص 67.
- 46 خليل إبراهيم العطية، في البحث الصوتي عند العرب، مرجع سابق، ص 60.
- 47 جان كانتينو، تر: صالح القرماضي، دروس في علم أصوات العربية، مكتبة وملتقى علم الأصوات، تونس، ط 1، دت، ص 38.
- 48 ينظر: أبو الفتح عثمان ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1، مصدر سابق، ص 77.
- 49 ينظر: إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص 57-58.
- 50 المرجع نفسه، ص 222.
- 51 ينظر: أحمد مختار عمر، دراسة الصوت اللغوي، مرجع سابق، 1997، ص 396.
- 52 أبو الفتح عثمان ابن جني، سر صناعة الإعراب، ج 1، مصدر سابق، ص 77.
- 53 عبد الرحمان أيوب، أصوات اللغة، مرجع سابق، ص 139.
- 56 إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مرجع سابق، ص 159-160.
- 55 عبد العزيز أحمد علام، عبد الله ربيع محمود، علم الصوتيات، مكتبة الرشيد، الرياض، المملكة العربية السعودية، ط 1 2009 م، ص 277.